

فتحها

نعيمة الهواء^(١)

في اليوم الاول من يوليو سنة ١٧٩٨ نزل الامبراطور العظيم نابوليون بوناپرت بستة وثلاثين الف مقاتل بالقرب من الاسكندرية كما هو معلوم من تاريخه وقد قصد الاستيلاء على هذا القطر وجعله محطة بين مملكته والهند التي كان في نيته افتتاحها . وبعد وصوله بأربعة ايام دخل الاسكندرية ثم زحف قاصداً القاهرة وكان المتسلط على القاهرة اذ ذاك واحداً من امرآء المالك يقال له مراد بك وكان قد نادى باستقلاله فأرسلت الدولة العثمانية جيشاً استخلص القاهرة من يده سنة ١٧٩٠ وسعت الدولة في القاء القبض على مراد المذكور فهرب برجاله الى صعيد مصر . ولما جاء نابوليون لفيه مراد بك بالقرب من اباباة بستين الفاً من اتباعه وحدث بينهما معركة هائلة تعرف باسم موقعة الاهرام انجلت عن فوز الجيش الفرنسي وهزيمة مراد وقتل نحو خمسة عشر الفاً من رجاله

وكانت الدولة الانكليزية لا تغفل طرفة عين عن حركات ذلك الامبراطور العظيم فلما تحققت غايته من محيئه الى مصر ارسلت في اثره امير البحر الشهير نلسون وفوضت اليه الرأي في احباط مسعى نابوليون فجاء الاسكندرية ورأى المراكب الفرنسية فيها فاصلاها ناراً حامية وتركها اخشاباً تحترق على وجه المياه في ابوقير وكان ذلك بعد فوز نابوليون على مراد المذكور ببضعة ايام

وما بلغ نابوليون قمة الهرم الاعلى من اهرام الجيزة حتى بلغه خبر اضمحلال اسطول البحرى فأوفد عساكره الى ابوقير فلم تجد فيه سوى جيش من العساكر العثمانية فقالتة وبددت شمله وكان ذلك سنة ١٧٩٩

واستدعت الاحوال رجوع نابوليون الى فرنسا لتدير شؤون داخلية فعاد اليها تاركاً في مصر الجنرال كليبر بجيش كافٍ وتواصل شديدة لا كمال ما شرع فيه نابوليون . فسار كليبر والجيش الانكليزية في اثره تساعد الاتراك على مقاومته حتى سدت في وجهه جميع الطرق واضعفت قوته ورأى ان لا فائدة ترجى من بقاءه في القطر فخطب السير سدي سميت قائد الجيش الانكليزية ان يسمح له بالخروج مع عسكره والعودة الى فرنسا فوعده بذلك ولكنه لم يلبث ان غير وعده وطلب تسليم كليبر وجنوده بمنزلة اسرى حرب . فلم يطق الدم الفرنسي هذا التلوث والاستخفاف فزحف كليبر الى المطرية سنة ١٨٠٠ وفيها اذ ذاك من الجنود العثمانية سمعون الفأوم ستة اضعاف عدد عسكره فجرت بينه وبينهم موقعة هائلة كان النصر فيها لكليبر وقتل من عساكر الاتراك خلق لا يحصى . غير انه لم يتمتع كثيراً بهذا الانتصار العظيم لانه قُتل بعد هذه الموقعة ببضعة اشهر . وسلمت قيادة الجيش الفرنسية في مصر الى الجنرال مانو

ولم تكن تنتظر انكثرا مثل هذه المقاومة من فرنسا فصممت على كسر شوكتها بيد قوية قبل استفحال الامر فارسلت السير رالف ابركرومي بسبعة عشر الفا فبلغ الاسكندرية سنة ١٨٠١ ومنذ ذاك اخذ الظل الفرنسي يتقلص شيئاً فشيئاً حتى اخلى القطر المصري بتمامه . ولما امنت انكثرا عودته سلمت مصر الى الاتراك سنة ١٨٠٣ . وما كادت الجيوش الانكليزية تبلغ بلادها حتى انقسمت الاتراك في مصر الى حزين وهما الالبان والفرز وكان الفوز للالبان وفي رأسهم محمد علي باشا جد الاسرة الخديوية فانتخب حاكماً لمصر سنة ١٨٠٥

ولما رجع الجيش الفرنسي من مصر تخلف عنه بعض المرضى واصحاب العاهات ممن لم يكن في الامكان نقلهم وكان بين هؤلاء ضابط يدعى مارشال كان قد اصيب بجراح كثيرة في معركة المطرية اقعدته عن مراقبة الجيش بعد ذلك فانعم القائد عليه بمبلغ من المال اشترى به منزلاً صغيراً بالمطرية واقام به يقضي بقية ايامه وكان بالقرب من منزله شجرة قديمة تُعرف الى اليوم بشجرة العذراء فتبين

مجاورتها . وحدث يوماً أنه رأى عشرين يسيران الى جانبي دابةٍ وقد ركبت عليها سيدةٌ مقنّعة حتى بلغت الحديقة فانزلها العبدان ولبثا ينتظرانها . اما الفتاة فسارت الى الشجرة المذكورة وجشت لديها حيناً وهي غارقةٌ في التضرع حتى اذا انتهت اخذت غصناً صغيراً من الشجرة قبلته ثم وضعتهُ في صدرها وهمت بالرجوع . فاستغرب مارشال الامر وتوجه لمقابلة الفتاة فحيّاها فردت تحتهُ باللغة الفرنسية فابتهج لما رآها تتكلم بلسانه فقالت لا تعجب من مخاطبتي لك بهذه اللغة فاني فرنسوية الاصل ولكني ألبس هذا الزيّ اتباعاً لعوائد البلاد . فطفح قلب مارشال سروراً واخذ يدها وجعل الاثنان يتمشيان في الحديقة واطلعت الفتاة مارشال على تاريخ حياتها فلم منه أنها ابنة رجل فرنسوي جاء الى مصر بزوجه وابنته واسمها كلوتيلد قبل مجيئ ناپوليون باعوام وكانت اذ ذاك طفلةً وكان والدها يميل الى الزراعة فترى بزوي اهل البلاد واقام يبتاع الاطيان ويغرسها حتى جمع ثروةً صالحةً ولكنه توفي منذ مدةٍ ولحقت به زوجته فتركها اموالها لابنتهما كلوتيلد . ثم ان كلوتيلد وجدت في بقائها في مصر لذةً وهي لا تعلم شيئاً عن وطنها الا ما سمعته من والديها ورأت نفسها في سعة من العيش فاقامت في القاهرة وكانت كل مدة تزور تنجرة العذراء في المطرية فتتلو تحت اغصانها صلواتٍ عن نفس والديها

وشعر مارشال وكلوتيلد بما يشعر به كل غريب اذا رأى احد ابناء وطنه في بلادٍ بعيدة فبقيا يتحادثان ويتذاكران وافترقا اخيراً كلنهما صنواف قد عاشا معاً وتواعدا ان يتزاورا ثم ما عتم مارشال ان اقترن بكلوتيلد وسلمت اليه اطيانها واموالها فعاشا سعيدين ورزقهما الله توأمين ذكرًا وانثى سمياهما ادوار وأنجل . ولما كبرا عكفا على تعليمهما ما يعلمانه فاتقنا اللغة الفرنسية واخذوا عن امهما اللغة التركية التي كانت قد تعلمتها جيداً

وساعد الحظ مارشال فاستدعاه محمد علي باشا وفوض اليه قيادة فرقة من جنوده وطلب اليه ان يدرّبها في المئاثفات العسكرية ففعل ونال حظوةً في عيني الامير . اما ادوار وأنجل فكانا مثال المحبة والوداد وآية الجمال والكمال وكانا لا يفارق

احدهما الآخر في الدرس والتزهد واللعب والقيام والنوم وكان لوالتهما كلوتيلد سلسلة من الذهب الخالص قد ورثتها عن والديها ففصلتها قطعتين وضعت في عنق كلٍّ منهما قطعة وقد نقشت لكلٍّ اسمهُ وتاريخ ولادته

ولما بلغ الولدان الثامنة من سنّيهما ارسل مارشال ابنهُ ادوار الى فرنسا واوصى به بعض معارفه القدماء وهو يودّ ان يقدمهُ الى المدرسة الحربية ليتلقّى فيها العلوم العالية والافانين الحربية . فسافر ادوار خلفاً لوالديه وشقيقته الوحشة الشديدة وكان اشدّهم وحشة شقيقته فانها انقطعت عن التزهد والالعب ولم تعد تفارق البيت الا نادراً وبعد سنتين من ذلك التاريخ اي في سنة ١٨٢١ نشبت الحرب بين الدولة العثمانية واليونان وطلبت الدولة نجدةً من محمد علي باشا فارسل لها ثمانية آلاف حندي وكان من جملة قوادهم مارشال . واول معركة خاض مارشال غبارها ابلّى فيها البلاء الحسن ورفع شأن الجنود المصرية ولكنه ما خرج من المعركة حتى اصابته رصاصة في صدره فخرّ قتيلاً . ولما بلغ الخبر محمد علي باشا اجتهد في اخفائه عن كلوتيلد ولكنها عرفتُه اخيراً فاعقبتها الحزن مرضاً توفيت به ولم يبقَ من تلك الاسرة في مصر سوى انجل وحدها وعمرها احدى عشرة سنة . فاضاف محمد علي باشا املاك اسرة مارشال الى دائرة احدى اميرات بلاطه واسمها زينب بشرط ان تتخذ أنجل ايضاً فتجعلها كابنتها او كشقيقتها . تم طلب معرفة عنوان اخيها ادوار فلم يهتد اليه وحدث له من المشاغل ما انساه الامر بعد حين

وكانت الاميرة زينب تقطن قصرًا على الضفة الشرقية من النيل جنوبي القاهرة . وكان القصر فخيم البناء تحيط به حديقة واسعة الارجاء دائمة الخضرة والازهار ويحيط بالحديقة سورٌ عالٍ لا يُدخل منه الا من بابٍ واحد عظيم البناء وعلى جانبيه نقوشٌ تمثل البناء العربي القديم . وكانت الاميرة تركية الاصل وقد ورتت عن زوجها اموالاً طائلة واراضي فسيحة والقصر المذكور فضلت الاقامة فيه أتمًا لانها رأت حياة الحرية المطلقة افضل من الاسر تحت نير الزواج . ولم تكن تحرم نفسها شيئاً من اسباب السرور والانبساط وكان لها قوارب بديعة الصنعة

تقف تحت قصرها فتنزل فيها في الليالي المقمرة وتمخر بها بين شواطئ النيل فتلذذ نفسها بمنظر مياهه وغناء خادئاتها وجواربها . ولما بلغت ارادة محمد علي باشا ولم تكن تخالف له امرًا استلمت أنجل وأطيانها ونظرت الى الفتاة فالفحتها كالخيزران قائمة وكالبدر طلعة فأعجبها جدًا ثم كلمتها بالتركية فأجابتها هذه بعدوبة صوت كان له في قلب الاميرة اشد تأثير فأحبت الفتاة حبًا لا مزيد عليه وامرت ان لا تقارق شخصها البتة . ورأت ان اسمها الافرنجي لا يوافق دائرتها التركية فأبدلته بنجلآء . وقضت نجلآء ايامها الاولى في قصر الاميرة محنية الرأس دامعة الطرف كاسفة البال لا تقارق صدرها الزفرات ولا عينها العبرات وهي تندب والديها الققيدين واخاها الذي لم تعد تسمع عنه شيئًا . ولكنها ما عثمت ان اخذت في نسيان كل ذلك شيئًا فشيئًا وقد ألهاها عن احزانها ما رأت في قصر الاميرة من اسباب الالهة والاهو والطرب وزاد على كل ذلك عطف الاميرة زينب عليها ومحبتها الشديدة لها . وكانت الاميرة لا تبخل عليها بأفخر الملبوس واثنى الحلى فأصبحت نجلآء من اجل صور ذلك القصر وكان للاميرة نسيب يقال له الامير فائز رأى يومًا نجلآء فسحر بجماها وكانت تنشد للاميرة بعض الاغانى التركية فخلبت ليه وسلبت عقله وهام بحبها ففقد صبره . واطلع الاميرة زينب على سره فقالت له اني لا الوملك على حب مثل هذا الملك ولكنني من الجهة الواحدة لا احب ان تتزوج واخسر مؤانستها ومن الجهة الثانية اراها لا تميل الى الزواج وقد اتفق لنا ان تكامنا عنه مرة فأظهرت نفورها التام من ذلك وهي تفضل متلي حياة الحرية المطلقة . فقال الامير اما بعدها عنك فأعدك انها ولو تزوجتني نبقى كلانا في دائرة قصرك . واما عدم ميلها الى الاقتران فاذا سمحت لي برضاك اتعهد بتلبين قلبها واستلام زماها . فسمحت له الاميرة وقالت له دونك وما تريد غير اني اخطرك من الآن انني لا اسمح لنجلآء ان تقترن بك ما لم اتحقق انها اصبحت تهواك كما تهواها . فخرج الامير فائز مسرورًا وهو يعلل نفسه بالفوز معتمدًا على دهائه وجماله وغناه ان لا يجد صعوبة في الاستيلاء على قلب نجلآء وابقاعها في محبته . اما نجلآء فكانت لا تميل الا الى بنات جنسها غير ان احاديث الاميرة عن

فائز وتهالكه في سبيل مرضاتها جعلها تميل شيئاً الى محادثته والنظر اليه ولكنها لم يخطر لها قط ان يكون بعلاً لها يوماً ما وكانت ترتعد فرائصها اذا ذكر لها احدٌ امر الاقتران ومضت سنوات عديدة على تلك الحالة وادركت نجلاء الحادية والعشرين من عمرها فاستوى قدّها وبرز نهديها واصبحت فتنةً للناظرين . وحدث في بعض الليالي الحارة ان خرجت الاميرة كماداتها للتنزه فركبت ونجلاء قارباً كانت النوتية تجرهُ من قارب آخر فوق مياه النيل الهادئة والى جانبهما قاربٌ آخر يقلّ الجوّاري الحسان من خدم الاميرة وينهّنّ العازقات والمغنيات فقضين ليلة من اجمل الليالي . ثم صرفت الاميرة جواريتها ولبثت مع نجلاء تخران ذهاباً واياباً في النهر حتى قارب الليل ان ينتصف وكانت قد صارتا بالقرب من شاطئ الجزيرة فاستوقف سمعها صوتٌ شجيٌّ ينشد اغنيةً فرنسوية شديدة التأثير وكان سكون الفضاء وهدهوء الليل يعبران صوت المنشد عذوبةً ساحرة . فطلبت نجلاء من الاميرة ان يقف القارب وجلست مصغيةً الى تلك الكلمات الخارجة من كبدٍ حرّى وكأنها سمعت في ذلك الانشاد شيئاً يذكّرها ما مرّ من حياتها في زمن حداثتها فلم تملك نفسها من البكاء

وكانت الاميرة ايضاً قد تأثرت من ذلك الصوت الحنون فلم تنتبه الى ما حل بنجلاء وبقيت كذلك الى ان انقطع الانشاد وعادت الى القصر . وما صدقت نجلاء ان صدر لها الامر بالانصراف الى غرفتها حتى ذهبت واطلقت لنفسها العنان فبكت بكاءً مرّاً . ولما تيقنت ان اهل القصر قد ناموا قامت فخرجت الى الحديقة ونزات السلم المؤدي الى النهر فايقظت نوتياً كانت تثق باماتته وقبل ان تبادئه بخطاب ناولته قبضة من الدنانير تم قالت له اتحفظ السريا سعيد قال لييك يا مولاتي . قالت اذهب وابحث لي عن صاحب الصوت الذي سمعناه الليلة ودبر بحكمتك ان تمكني من مقابلته غداً هنا وفي مثل هذه الساعة . فقال سمّاً وطاعةً يا مولاتي فغداً ان شاء الله يكون هنا حسب مرامك . وكانت نجلاء ترتجف من البرد وهي خائفة ان يشعر احدٌ بوجودها تلك الساعة في ذلك الموضع فما صدقت ان سمعت وعد سعيد لها حتى عادت الى غرفتها ولم يزر الكرى جفنها طول تلك الليلة

ولم تصدق نجلاء ان مضى النهار وا قبل الليل الثاني حتى خرجت في الميعاد وجاءت الى السلم الممهود فجلست وكانت الافكار تتقاذفها وهي تلوم نفسها لارسالها بطلب غريب عنها في مثل تلك الساعة من الليل وكانت كلما أنبت نفسها على هذا الصنيع تشعر في ضميرها بصوتٍ حيٍّ يهون عليها فعلها . وانها لكذلك اذا بقارب ينساب على المياه الصافية حتى بلغ السلم فنزل منه سعيد وتبعه فتى في عنفوان الشباب في ثياب افرنجية وعلى رأسه طربوش وصعدا السلم فوجداهما في انتظارهما فقال سعيد لنجلاء ها هو يا مولاتي الفتى الذي امرتني باحضاره وسأذهب الى وسط الحديقة حتى اذا طرأ مفاجئ انبهك للامر . ولما خلت نجلاء بالفتى الغريب جعلتا ينظران بعضهما الى بعض وهي لا تدري كيف تبدأ بالحديث ورأت على وجه الفتى دلائل الامانة والرجولية والعفاف وفيه شيء من الحزن فقالت بالفرنساوية عفوا ايها الغريب اذ دعوتك في مثل هذا الوقت والى مثل هذا المقام ولكنني في بيت تعسر علي فيه مقابلتك على غير هذه الصورة . وقد سمعتك بالامس تتغنى بلحن هاج احزاني وعلمت انك ولا بد قادم من فرنسا فاحيت ان اقابلك فاسألك عن وطن آبائي وعن عزيز لي هناك ربما تعرف عنه شيئاً . وكان الفتى يعجب من لهجة نجلاء ولغتها الفرنسية الصحيحة وشعره باقباض في صدره ورأته نجلاء قد رفع منديلها الى عينيه فمسح منهما دمعتين محرقتين . ثم قال لها عجباً ايها السيدة فزيك تركي وانت في بيت اترك وتقولين ان فرنسا وطن آبائك . فتنهدت نجلاء وقالت نعم انني من والدين فرنسويين ولكن حكمت الاقدار ان اغير محل اقامتي وزيتي واسمي فبعد ان كنت في حضن والدتي اصبحت في منزل اميرة تركية وبعد ان كنت بلباس ابنة وطني صرت في هذه الملابس الشرقية وبعد ان كان اسمي انجل تغير الى نجلاء . وكانها رأت امام عينيها صورة ماضيها فاطرقت الى الارض وهي تنبتوجع . اما الفتى فما سمع كلامها حتى شعر كأن سهماً قد اخترق فؤاده فرفع يده الى عنقه واخرج من تحت ثوبه سلسلة ذهبية قدمها الى نجلاء وقال لها هل رأيت في زمانك شيئاً يشبه هذه . . . ولم تدعه يتعلم حديثه فوثبت كاللبوة الفاقدة

اشبالها ثم اخذت السلسلة وقرأت عليها اسم ادوار والتاريخ فرفعت باليد الواحدة سلسلتها ايضاً من عنقها ورمت باليد الثانية على عنق اخيها واغمي عليها

ولما اخذ الضعف البشري حدةً من الاخوين اخذاً يتحادثان فقصت عليه نجلاءً جميع ما مرّ عليها وما تذكره ولما انتهت اخذ ادوار في حديثه فقال . اما انا فلما ارسلني والدي الى فرنسا اُدخلت المدرسة الحربية فبقيت فيها عشر سنوات اتقنت فيها جميع علومي وملت من فضله تعالى ودعاء والديّ قصب السبق على اقراني ثم اُخرجت من المدرسة لاقضي ثلاث سنوات في الخدمة كما تقتضيه اوامر الحكومة وقد كتبت في هذه المدة مراراً الى والدي فلم احصل على جواب . ولما اصبحت حرّاً خيرتني الحكومة في البقاء او السفر ففضلت المجيء الى هنا لاراكم وزوّدتني بعض كبار رجال الحكومة تواصي الى حاكم القطر محمد علي باشا فجئت والشوق يعيرني اجنحةً حتى بلغت مصر اول امس فرأيتها قد تغيرت كثيراً عما كانت عليه حين فارقتها . ولما لم اهتد الى مقر والديّ قصدت محمد علي باشا فرفعت اليه كتب التوصية التي معي ولما عرف اسمي وغايتي اظهر لي كثيراً من الانعطاف والحنوّ وقال لي ان والديك في النعيم وشقيقتك في حال تسرّك . ولكن قبل ان اجمعك بهم لا بد من ارسالك في مهمةٍ اوّمل لك منها خيراً عظيماً وعوداً سليماً فاغطي صدرك هذا باوسمة الفخر واجمعك اذ ذاك بمن تحب . ثم اخبرني ان نجله ابراهيم باشا قد سافر لحاربة الديار السورية وانه يود ان يرسلني اليه لاساعده في قيادة العناكر والحرب فلم تسعني مخالفتة وقد امرني ان استعد للسفر وسيجهز لي الكتابات اللازمة لابنه وميعاد سفري غداً

وكانت أنجل تصنّب اليه بكل حواسها وهي لا ترفع نظرها منه فقالت له لا بد من تقديمك الى الاميرة زينب في هذه الليلة وان تقضي الساعات الباقية لك في مصر معاً . فقال لا فاني لا بد ان استعد للسفر وقد كفاني الآن اني رأيتك وعلمت مقرّك فاذا عدت سالماً من سوريا كما ارجو باذن الله فحينئذٍ نلتئم اجتماعاً لا فراق بعده . ثم اخذ الاثنان في حديثٍ طويل وكان ادوار يراجع كلمات محمد علي باشا

اذ قال له ان والديك في النعيم وكيف لم يفتن اذ ذاك لمعناها فكنا يندبان فقدهما ويعزيان بعضهما بعضاً . وبينما هما غارقان في الحديث لم يشعر الا وقد اخذت ظلمة الليل في الاضمحلال فلم يريا بذاً من التفرق فودعا بعضهما بعضاً وسارت نجلاء بأخيها على ضفة النهر الى ما وراء سور الحديقة فاستأنفا الوداع ورجعت هي الى غرفتها وسار هو في طريقه في تلك البساتين

وما سار ادوار كثيراً وهو غائص في تأملاته حتى شعر بوطء اقدم تسير وراءه فوقف ونادى بالتركية من القادم . فأجابه صوت أجش قف مكانك يا هذا ولا تبد حراكاً . ثم اقترب السبح من ادوار فاذا هو رجل ملفت بعباءة ولكنه لم يتبين هيئته فقال له ماذا تريد مني ايها الرجل . قال اريد قتلك واخفاء خبرك . فقال ادوار ولم ذلك . قال لانني رأيتك خارجاً من حديقة هذا القصر وقد اقسمت انه لا يدخله غريب ويخرج منه حياً فاستعد للموت . فقال ادوار اعلم يا هذا اني من اخصاء محمد علي باشا فاذا بلغه الامر لا تأمن على حياتك . فقال ومن اين لمحمد علي ان يعرف بذلك فسأقتلك واخفيك تحت التراب فيعجز الثقلان عن معرفة قاتلك أو محل وجودك . فقال ادوار خف غضب الله يا هذا واعلم انه ولو لم يشاهد اثمك احد فان الهواء الذي تتنشقهُ الآن ينم عليك يوماً ما فتنال جزاءك . فقهقه الشبح ضاحكاً وقال اذا نم عليّ الهواء يوماً فسأجد ما اكذب به شهادته . ثم رفع من تحت قبائنه خنجرًا واغمدهُ ثلاثاً بسرعة البرق في صدر ادوار فسقط الى الارض ميتاً والدم يتدفق من جراحه . واسرع القاتل فحفر حفرةً التي فيها جثة ادوار وغطاها بالتراب واخفى اثر الدم وسار الى بيته

اما نجلاء فكان سرورها بلقيا اخيها قد انساهما جميع همومها فكانت دائمة السرور والابتهاج ولما طالت المدة ولم تسمع عنه شيئاً اضطرب فكرها ولم يكن يسليها الا اكرام الاميرة لها ومغازلة فائز وقد همت بأن تميل اليه . ومضت عليها ثلاث سنوات لم تسمع فيها شيئاً عن ادوار وكانت تعلق النفس بالاجتماع به يوماً وتسراً لما تسمعه من اخبار فتوح ابراهيم باشا وانتصاراته وهي تعتقد ان اخاها في صحبة ذلك البطل .

وتغلب الأمير فائز عليها أخيراً فوعدهُ بالاقتران به وما صدق ان اخذ وعدها حتى اعلم الاميرة زينب فجعلت يستعدان للقيام بأفراح العرس . ولما كانت الليلة المعينة عُقد لفائز على نجلاء في حفلة باهرة جمعت كبار الامراء والنبلاء والحج اصحاب فائز على اطالة ليلة السرور فانصرفت بنجلاء الى غرفتها وبقي فائز مع اصحابه الى بزوغ الفجر فلما خرجوا ذهب الى غرفة حبيبته فوجدها قد استيقظت من نومها وهي تشكو من الحر فعمد الى نافذة ففتحها فهب منها نسيم لطيف في وجهه فائز فنبسم . ورأت نجلاء تبسمه فسألته عن السبب فقال لها قد ذكرني الهواة امرأ . قالت وما هو . قال حادثة حصلت منذ ثلاث سنوات . ولما ألحْتُ عليه ان يخبرها ولم يكن يود ان يعصي لها امرأ قال لها انني منذ كلفت بك كنت اسهر عليك ليلاً ونهاراً وحدث منذ ثلاث سنوات انني رأيت عند انبلاج الفجر فتى خارجاً من حديقة القصر فسوّلت لي خبري ان اقلته وقبل ان افعل تهددني بالعقاب ولم يكن بالقرب منا احد يمكن ان يعرف ذلك فقال ان الهواة الذي انتشقه يشكوني يوماً ما . فلما فتحت النافذة الآن وهب الهواة في وجهي ذكرني تلك الحادثة فتبسمت ضاحكاً من فآل ذلك المسكين فلما سمعت نجلاء هذه الكلمات وثبت كفائدة العقل فأمسكت بعنق فائز وصاحت آه يا قاتل اخي ولم تتركه حتى جاءت الخدم فأمرتهم بايثاقه . ثم ارتدت ثيابها وتوجهت للحال الى دار محمد علي باشا فطلبت المثل بين يديه وأخبرته بما كان فشق عليه الامر جداً وامر فاستحضر فائز وقرّر فأقرّ وبُحث عن الجثة فوجدت رمة والسلسلة الذهبية لا تزال معلقة في العنق فأخذتها بنجلاء وهي الاثر الوحيد الباقي لها من آلهما وحكم على فائز بالشنق . ولما ايقنت نجلاء بنفاذ القضاء فيه طلبت الى محمد علي باشا فأرجع لها من المال ما يؤازي تركة والديها وسافرت الى فرنسا بعد ان كرهت الاقامة في ارض لم تلقَ فيها منذ ولادتها سوى الشقاء والحزن وقد

الاهل والسعادة